في المحاكم

قد يخطئ القضاء

تنفيذ حكم الموت في رجل ثبتت براءته

اطلعنا على هذا المقال في السياسة الاسبوعية فآثرنا نقله لقراء الحقوق عبرة للقضاة وموعظة .

هل القضاء معصوم من الخطأ ؟ وهل يمكن التكفير عن الحكم الخاطئ بعد تنفيذه؟

الجواب عن كلا السؤالين بالنفي . فالقضاء غير معصوم من الخطأ . والتكفير في حالة الخطأ غير ممكن بعد تنفيذ الحكم . وهذا هو اقوى الاسباب التي يتذرع بها المطالبون بالغاء عقوبة الاعدام . فقد ثبت في بعض الحالات ان الحكم بالاعدام كان خطأ . وان الشخص الذي نفذت فيه العقوبة كان بريئاً ، كما ترى من الحكاية الآتية وهي مستقاة من سجلات القضاء

كان على مقربة من بلدة اوكسفورد ببلاد الانكليز وفي الطريق المؤدية الى لندن تزل معروف يديره رجل يدعى (بولتان براد فورد) و يقصده الكثيرون من اهالي اوكسفورد ولا سيما الطلبة فيتناولون فيه ما يشاؤن من طعام وشراب و يبيتون فيه ليلتهم اذا انقطعت اسباب العودة

في احد الايام وقد خلا النزل من روّاده وجلس براد فورد يفكر في حالته

دخل شاب يظهر انه من معتادي الترداد الى هنالك يدعى جاك هايز ، بدل مرآه على انه من اهل النعمة واليسار . فما رآه صاحبنا براد فورد حتى خف لاستقباله لانه كان من اكرم زواد نزله . فجاء هايز بتحية خالية من الكلفة وطلب اليه ان يهيء له افخر ما عنده من الطعام . وما هي الا بضع دقائق حتى قدم اليه براد فورد ما طلب وطاب ثم رجع الى موضعه فجلس على كرسيه واخذ يفكر وطال تفكيره حتى سها عن كل ما حوله . وكان قد تلقى في صباح ذلك اليوم خطابا من محامي صاحبي النزل يتهدده بانه اذا لم يسدد مبلغ اربعمائة الجنيه المطلوبة منه فسيحجز النزل وما فيه ويعرضه للبيع . وفي الواقع ان براد فورد كان مدينا بهذا المبلغ منذ زمان طويل ومع انه بذل جهده لتسديده لم يوفق الى ذلك . وقد تمكن من تمديد اجل الدين غير مرة . ولكن الدائن ابى في هذه المرة ان يمدده يوما واحدا وعزم على استيفائه بحجز النزل وبيع ما فيه

لذلك جلس براد فورد يفكر في الامر طويلا علّه يجد له منفذا من ذلك المأزق . وتمثل له شبح الفاقة والخراب بعد بيع النزل فكاد صوابه يطير

وخل هايز يتناول عشاءه وهو يدمدم ، ينقر المائدة باصابعه علامة الفرح والسرور وكان يخاطب براد فورد من آن الى آن ويلقي على مسامعه النكات اللطيفة وبراد فورد يتكلف الابتسام . واراد سوء الحظ ان تولد الشهوة الاجرامية في نفس ذلك البائس فاخرج هايز « محفظته » ليدفع ما عليه فاذا بها اربعمائة جنيه — وهو المبلغ المطلوب من براد فورد تماما ! .. فبرقت عينا براد فورد وابتدأ يبلع ريقه . وقال في نفسه : لعل الاقدار قد دفعت هذا الشاب الغني الى يدي لينقذني من الورطة التي انا فيها ...

وشاء سوء حظه ايضا ان يطلب هايز المبيت عنده تلك الليلة فاصعده الى غرفة في الطبقة العليا من النزل . ثم عاد يفكر كيف ينتزع منه المال الذي معه وهو في اشد الحاجة اليه .

واطال تفكيره فلم ينته الا الى نتيجة واحدة وهي انه اذا اراد الحصول على المال الذي مع هايز فلا بد له من قتله

وظل يميل فكرته حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . اخيراً نهض وقد صمم ان يرتكب تلك الجناية الفظيعة . فصعد الى ساطوره وصعد الى الغرفة التي كان هايز نائماً فيها . وكان الظلام حالكاً وليس في المنزل احد سواه وسوى ضيفه النائم . فصار يهدىء خيفة ان يستيقظ النائم وصدره يجيش بعواطف متناقضة . فكلما حاول ضميره ان يردعه عن تلك الجناية تمثل له شبح الفقر والخراب اذا هو لم يسدد ما عليه من الدين في صباح اليوم التالي

وظل يقدم رجلاً ويؤخر اخرى حتى وصل الى الغرفة التي كان هايز نائماً فيها ومع ان الظلام كان حالكاً . فقد رأى باب الغرفة مفتوحاً فتعجب لان هايز اوصد ذلك الباب بعد ما دخله ونزل . فقال في نفسه : لعله انزعج من شدة الحر ففتح الباب

وكان السكوت تاماً . فصار براد فورد الى السرير ووقف امام هايز هنيهة وضميره يستحثه لآخر مرة ان يعدل عن تلك الجناية . وبينما هو على تلك الحالة وساطوره بيده ادهشه ان النائم لم يكن يتنفس . فمال اذنه الى شفتيه فزاد ذهوله . فهزه فلم يتحرك . فاشعل عود ثقاب فوجد نفسه امام جثة يتدفق منها الدم . فكاد سواد يطير . وقع الساطور من يده . واصبح لا يدري اي نقطة هو واقف في عالم واستولى عليه ذعر شديد لانه ادرك حرج موقفه فشعر بان الارض تميد تحت قدميه ثم وقف امامه رجلان وصاح احدهما : يا الله ! هذا حاك هايز قد قتله براد فورد !

فصاح براد فورد كالمجنون : تالله اني بريء لا اعلم من قتله !

فقال احدهما : ان ساطورك شاهد عليك

فقال : نعم ان الساطور هو ساطوري ولكني اقسم برب الارض والسماء انني بريء من هذه الجناية

ثم سقط على الارض منهوك القوى لا يستطيع حراكا . فقال احمد الرحالين لرفيقه : يا للاسف اننا لم ندرك هايز حيا لننقذه . ولو اسرعنا حالما سمعنا انينه لانقذناه الا اننا تهاملنا ولم نعلم الحقيقة . وعلى كل فالحمد لله اننا وفقنا للقبض على القاتل وهو متلبس بجنايته

ولم يكن عندهما شك ان سبب القتل هو شهوة المال وان برادفورد انما اراد ان يحصل من المبلغ الذي كان مع القتيل . والدليل على ذلك انهما لم يجدا محفظته مع ان الرجل كان مشهوراً بغناه وبانه يحمل دائماً مبالغ كبيرة .

الا ان برادفورد ظل يقسم و ينكر التهمة . وعلل وجوده في تلك الغرفة في مثل ذلك الموعد من الليل بقوله انه سمع المستر هايز قتيل الساطور — وهو السلاح الوحيد الذي وصلت اليه يده — واسرع ليرى ما الخبر فجاء ورأى هايز جثة هامدة

على ان الرحالين لم يصدقاه وقالا له : انك لا تزال لابساً ثيابك مع اننا في منتصف الساعة الثانية بعد نصف الليل

وما هي الا بضع دقائق حتى وصل رجال البوليس والقوا القبض على برادفورد . واصر هذا على الانكار . ولكن ذلك لم يجده نفعاً . وبعد ايام حوكم وحكم عليه بالموت وفي الليلة السابقة لتنفيذ الحكم زاره الكاهن وقضى معه ليلة . وكان برادفورد يبكي و يتحسر و يقسم انه بريء . ثم اعترف للكاهن بالحقيقة كما هي وقال انه كان سكران الواقع بدوي ارتكاب الجناية ولكن غيره كان قد سبقه الى ارتكابها . على ان اعترافه لم ينقذه من الموت . وفي صباح اليوم التالي سيق الى المشنقة ونفذ فيه الحكم .

مر على هذا الحادث بضعة اشهر نسي بعدها الناس ذكر برادفورد صاحب ذلك النزل المشئوم . وكان في احد مستشفيات لندن رجل يعالج سكرات الموت والى جانبه كاهن يعزيه قبل الوفاة . وفي اثناء احتضاره سأل الكاهن هل سمع باسم جك هايز الذي اعدم منذ بضع سنين فقال له برادفورد : نعم وقد قضيت مع

برادفورد الليلة الاخيرة قبل اعدامه فتنهد المريض وقال : ويلاه . انني واقف على عتبة الابدية وصبري مثقل بوزر عظيم

قال : ما هو ؟

قال : لما قتل جاك هايز الحقيقي كنت في خدمته حتى تلك الليلة . وكنت اعطاه يحمل مبلغاً كبيراً من النقود فتبعته الى النزل وقتلته واستوليت على ما معه ثم توارت ولا يزال ضميري يكتئبني حتى اليوم لانني قتلت جاك هايز . وسرقت ماله ونسبت في اعدام رجل بريء .

فلما سمع الكاهن ذلك شعر بأن الارض تميد تحت قدميه فنهض للحال وذهب يستدعي احد رجال القضاء ليسمع تلك الشهادة المريبة تبرئة لذكرى برادفورد المسكين ولكن ماعاد الكاهن ومعه القاضي حتى كان المريض قد اسلم الروح

* * *